إهداء

إلى من تولانى بالرعاية والحوطة منذ أن وطأت قدماى جامعة عين شمس العريقة .

إلى من أوقفنى على حقيقة المعرفة التاريخية ، والعلوم البينية فى تدوين التاريخ .

إلى من علمنى كيف أتعامل مع المصادر على اختلافها وتناكرها.

إلى أحد أبرز المنظرين والمفكرين والمؤرخين فى مصر والعالم العربى .

إلى العالم الجليل صاحب المنهج المحمودى فى تدوين التاريخ .

إلى صاحب سوسيولوجيا الفكر الإسلامى والمصنفات التاريخية الماتعة.

إلى عملاق الفكر العربى .

إلى أبى الروحى البروفيسور محمود إسماعيل عبدالرازق .

تقبل منى هذا العمل المتواضع . فإنما هو فكرة مقتبسة من طروحاتكم .

المقدمة

يعتبر ابن حزم الظاهرى أحد أبرز رجال المدرسة التاريخية التى بزت وظهرت فى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى بمزاج وفكر أندلسى محض في عصر ملوك الطوائف ، وكان من أقطابها ابن حيان مؤرخ الأندلس العظيم ، وصاحب المقتبس والمتين .

لقد استغل ابن حزم التراكم المعرفى الخاص بالفكر التاريخى الذى اختمر بالأندلس منذ القرن الثالث الهجرى على يد عبدالملك بن حبيب (179هـ- 238/ 796- 854) حتى عصره ، ونجح في تأسيس مدرسة حزمية تاريخية تعددت أفكارها وطروحاتها ، واعتمدت على توسيع فروع التاريخ بضم علم النسب إليها ، فضلا عن تبنيها فلسفة التاريخ التى نسبت لابن خلدون مؤخرا ، وهى فى الأساس من بنيات أفكار ابن حزم مؤسس المدرسة الحزمية التاريخية .

ويهمنا في هذا المقام رأس المدرسة الحزمية التاريخيه ، والذى ترك لنا تراثاً متنوعا فى جل أجناس الكتابة التاريخية ، فكان بمشاركاته الفريدة رائداً فى مجال الدراسات التاريخية كما كان فى الفقه والأصول والحديث والتفسير والمعتقد والفلسفة والمنطق وعلم الكلام والعلوم اللسانية المتعددة وغيرها من علوم المعقول والمنقول.

لقد نجحت المدرسة الحزمية التاريخية فى أن تبز وتظهر خلال عصر ملوك الطوائف منطلقة من القواعد والأصول التى قعدها وأصلها ابن حزم ، فرأيناها واضحة فى مصنفات تلميذين من تلاميذ مؤسس المدرسة وهما صاعد بن أحمد والحميدى ، ثم تأصلت تماما فى عهد الدولة الموحدية التى انحازت لابن حزم ولفكره ومذهبه بصفة عامة ، ومن ثم وجدنا ثلة من المؤرخين الذين تأثروا بابن حزم ونهجوا نهجه فى العديد من القضايا التاريخية ، ومن هؤلاء ابن دحية الكلبى ،

وابن الرومية ، وابن القطان ، وابن عربى الصوفى وغيرهم [1] ، وهو ما دفعنا لتخصيص دراسة مفردة عن المدرسة الحزمية التاريخية بالأندلس فى عصر الموحدين بدأنا فيها بالفعل بعد صراع فكرى مرير، ونسأل الله تعالى أن يعين على إتمامها هى وغيرها من الدراسات المعلقة التى لم تر النور بعد.

لقد شغلت بابن حزم وبمذهبه منذ أن كنت فى بداية الطلب ، وتحديداً فى تسعينيات القرن المنصرم ، ومن وقتها إلى يوم الناس هذا لا زلت على حالة الانشغال بهذه الشخصية الموسوعية الفريدة ، ورغم ما قدمته بشأن ابن حزم من دراسات وأبحاث متعددة – منها ما ظهر للنور ، ومنها ما هو حبيس الأدراج – فلا تزال هناك العديد من الموضوعات الخاصة بابن حزم وفكره وتراثه فى حاجة إلى دراسات مفردة لعلاجها ، ومن هذه الموضوعات التدوين التاريخى عند ابن حزم .

وهذا الموضوع تحديداً كان يراودنى منذ أن أشار على به أستاذنا العلامة الكبير الدكتور محمود إسماعيل وهو يناقشنى فى أطروحة الماجستير فى العام 2004م ، حيث قال لى : لقد استطعت أن تعارك عملاقاً مثل ابن حزم بجدارة واقتدار ، واستفدت منه إفادات جمة ، ومن ثم أنتظر منك تحليلاً لمصنفات ابن حزم التاريخية ، وكنت أود أن تضمنه أطروحتك التى بين يدى .

كنت أشعر فى الحقيقة وقتها أننى لا أستطيع أن أفى بهذا الطلب لا سيما وأن أستاذنا الراحل المفكر والمؤرخ الرصين الدكتور عبدالحليم عويس أخرج دراسة أكاديمية رائعة عن ابن حزم المؤرخ طبعت تحت عنوان : " ابن حزم الأندلسى وجهوده فى البحث التاريخى والحضارى " الأمر الذى أعاقنى تماماً عن تحقيق طلب أستاذى المفكر الكبير الدكتور محمود إسماعيل .

1) تقصينا هؤلاء بالدراسة فى كتابنا تاريخ أهل الظاهر فلتراجع هناك .

مرت الشهور والسنون والموضوع معلق فى ذهنى ، وأستاذنا الدكتور محمود إسماعيل يفاجئنى فى كل مرة ألتقيه فيها باهتمام غير مسبوق بابن حزم ومصنفاته ، فنتبادل أطراف الحوار تارة عن طوق الحمامة ، وما حواه من تأريخ للمجتمع الأندلسى ، وتارة عن كتابه الفصل فى الملل والأهواء والنحل وما حواه من تدوين مبهر لتاريخ الفرق والأفكار والمعتقدات ، وتارة عن جمهرة أنساب العرب وتفنن ابن حزم وإبداعه فى صياغته وطرح أفكاره ... وتارة عن نقط العروس ... وتارة عن رسالة فى فضل الأندلس إلخ ... إلى أن تطرق الحديث عن تلاميذ ابن حزم لا سيما صاعد والحميدى . ثم كانت المفاجأة الكبرى عندما طرح أستاذنا الدكتور محمود إسماعيل على طلبة الدراسات العليا موضوعات تخص التدوين التاريخى فى الأندلس ، وكانت إحدى الدراسات لزميلة لى تختص بالكتابة التاريخية فى عصر ملوك الطوائف الأمر الذى حرك بداخلى السواكن للعودة إلى ابن حزم ثانية ، والتدقيق فى تراثه التاريخى ، وتأثيره على مؤرخى الأندلس بدءً من عصر ملوك الطوائف حتى سقوط غرناطة . فعلق بذهنى أن أعالج الموضوع المطلوب منى ضمن كتاب أتناول فيه المدرسة الحزمية التاريخية من القرن الخامس الهجرى حتى القرن السابع الهجرى حيث سقوط دولة الموحدين ، تلك الدولة التى تبنت فكر ابن حزم ومذهبه ، ورغم ذلك ظللت فترة بين إقبال وإدبار على الموضوع . ماذا عسانى أن أفعل !! هل أتناول فى الكتاب رأس المدرسة وجهوده التاريخية ؟ ثم أتناول أتباعه فى مدرسته الحزمية التاريخية ؟ مع إبراز حقيقة تأثرهم بابن حزم مؤسس المدرسة من خلال المقارنة بين منهجهم فى الكتابة ومنهجه ، فضلا عن مرجعيتهم التاريخية ، وأجناس الكتابة التاريخية التى تناولوها ، والأفكار الحضارية التى عالجوها فى كتبهم ولها صلة من قريب أو بعيد بأفكار عالجها ابن حزم ؟ وهل أقصر المدرسة الحزمية التاريخية على من تابع ابن حزم فى مذهبه الظاهرى فقط ؟ أم أوسع المجال لتشمل المدرسة من تأثر بابن حزم فى الكتابة التاريخية من غير الظاهرية ؟ أم أتوقف على مدرسة ابن حزم التاريخية فى القرن الخامس الهجرى ؟ .....إلخ.

تساؤلات عديدة ألحت على ذهنى ، وظلت تطاردنى فترة ليست بالقصيرة إلى أن استقر رأيي على تناول التدوين التاريخى عند ابن حزم الظاهرى ، مع إبراز منهجه ومرجعيته التاريخية قدر المستطاع ، وهو ما أتاح لى فرصة المقارنة بين ما قدمه ابن حزم ، وبين ما قدمه أتباع مدرسته الحزمية التاريخية ، والتى دلفنا إليها وأفردنا لها دراسة تختص بالحديث عنها عبر عدة قرون ، آمل أن ترى النور قريبا بمشيئة الله تعالى.

وتكمن مشكلة هذه الدراسة فى أن الحديث عن المدارس الفكرية بعامة والتاريخية بخاصة يحتاج إلى جهد مضنى . إذ لابد للباحث أن يقف على دور وجهد مؤسس المدرسة أولا ويطبق القواعد والأصول التى وضعها على أتباع مدرسته ، وهو أمر لا يخفى على أحد صعوبته . كما أن هذه الموضوعات تحتاج إلى إلمام شبه كامل بطبيعة الشخصية الموسوعية المؤسسة للمدرسة ، والعلوم المتعددة التى عالجها ومدى إفادتها للبحث فى الجانب التاريخى . لا سيما وأن استخدام العلوم المساعدة أو العلوم البينية فى تدوين التاريخ أصبح من الأمور الحتمية فى أيامنا هذه ، وهو أمر من أخطر المشكلات والصعاب التى تواجه من يلج هذه الموضوعات .

هذا وقد اعتمدت فى هذه الدراسة على منهج استقرائى يعمد إلى تحليل الخبر ورده إلى أصله ودوافعه ، كما استعنت بالمنهج النقدى في مناقشة الروايات التاريخية المختلفة لترجيح رواية على أخرى ، فضلا عن المنهج الوصفى السردى ، والبنيوى التفكيكى .

وقد قسمت الدراسة إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة .

تناول الفصل الأول الكتابة التاريخية بالأندلس منذ نشأتها حتى عصر ابن حزم .

وعالج الفصل الثانى وعنوانه : " منهج ابن حزم ومرجعيته التاريخية" أربعة مباحث هى :

شروط المؤرخ عند ابن حزم – ابن حزم وفلسفة التاريخ – منهج ابن حزم وأسلوبه فى الكتابة التاريخية – المرجعية التاريخية لابن حزم الظاهرى.

واختص الفصل الثالث وعنوانه : " أجناس الكتابة التاريخية عند ابن حزم " بدراسة أنماط الكتابة التاريخية التى تناولها ابن حزم وهى : السيرة النبوية – التراجم والطبقات – التاريخ المحلي (تاريخ المدن) – تاريخ الدول والحكام – تاريخ الفتوح – الأنساب ومعاجم الشيوخ

-تاريخ الأديان والفرق والأفكار .

واختتمت الدراسة بخاتمة تناولت أهم النتائج والاستنتاجات التى توصلت إليها.

وأخيراً آمل أن أكون قد قدمت شيئاً مفيداً بشأن ابن حزم الظاهرى وفكره خاصة ، والمعرفة التاريخية عامة ، وأتمنى أن ينال هذا العمل إعجاب الباحثين والقراء والنخب المثقفة المتابعة بنهم لكل ما يصدر عن ابن حزم الظاهرى من مصنفات ودراسات وأبحاث ، وأن يكون لبنة جديدة تضاف إلى المكتبة العربية والإسلامية بعامة ، وإلى المكتبة التاريخية خاصة ، والله تعالى أسأله التوفيق والسداد فى سائر أعمالنا .. إنه ولى ذلك والقادر عليه .

دكتور

عبدالباقى السيد عبدالهادى